عبث الصورة بالجسد الجميل

يختلف المراقبون لقضايا المجتمعات المحافظة ومن بينها السعودية في تفسير لهث الصورة المتكرر، نحو الأنثى للنهش من خصوصيات جسدها.

فبينما يحمل المتدينون وعلماء الشريعة وسائل الإعلام مسؤولية التجاوزات الأخلاقية التي يكون طرفاها "المرأة والرجل" بدعوى إثارتها لغرائز المراهقين، تعتقد شريحة أخرى من المجتمع يصعب تصنيفها تحت مفردة واحدة، أن " الخلل التربوي الذي تنجم عنه بعض السلوكيات المرفوضة اجتماعيا - بحسبانهم - جرى تسطيحه بتحميل المرأة شقوة الهفوة والغواية فيها".

ولهذا ترى الكاتبة السعودية بدرية البشر أن " المجتمعات المحافظة في أنحاء كثيرة من المنطقة خاضت تجربتها بصورة مختلفة عن تجربتنا في السعودية إذ اعتبرنا المرأة كائنا مختلفا ألبسناه الغموض، وفي الثقافة نردد أنه كائن ضعيف بلا عقل، فهي زارعة للفتنة ومدمرة للمجتمع، هذه الرسائل المتناقضة والصور لكائن واحد دليل على أن خللا يحدث في فهم المرأة، والسبب في

موروثنا الثقافي، ففي كل مرة يواجه المجتمع معضلة سلوكية أو تربوية نجد المرأة تصنف في إحدى نواحيها السلبية."

لكننا إذا تجاوزنا المحيط الخليجي إلى العربي والعالمي نجد القضايا الأخلاقية، وخصوصاً تلك التي تكون الصورة إحدى عناصرها تمثل إشكالية اجتماعية غير هينة، رغم جهود دول ومنظمات حقوقية في كبح جرائم العنف ضد المرأة، ومن بينها جرائم غسيل الشرف في أكثر من منطقة عربية وإسلامية.

إلا أن الفارق بين المجتمعات غير العربية والإسلامية أن الفضائح التي تنقلها الصورة وتوثقها بدلاً من أن تتحول إلى كابوس يطارد عوائل المتورطين بها في كل الأحول، تكون في أكثر الأحيان مادة فكاهة ومؤانسة، تحصد بها الصحف والمجلات مبيعات هائلة، وخصوصا عندما تتعلق بالمشاهير في السياسة والفن.

وهذا النمط من التكيف مع الفضائح المصورة والمنشورة (صحافياً) وإن عده البعض حضاريا إلا أنه حسب علماء الشريعة لا يعدو كونه "سقوطا أخلاقيا واجتماعيا، بوجوه متعددة، أدى إلى انتشار الجرائم واللقطاء والأمراض الجنسية الخطرة" بين تلك المجتمعات المتقدمة.

ورغم كل هذه التفسيرات يمثل شغف تصوير أو مشاهدة "الوقائع الجنسية" ظاهرة عالمية، تقلق الأجهزة الأمنية والتربوية لما ينشأ عنها من سلوكيات غير سوية، وهذا ما جعل دولا كالسعودية والإمارات -مثلاً- تحظر المواقع الإباحية على خطوطها المحلية في

الشبكة العالمية "الإنترنت"، إلا أن الإحصاءات لا تزال تشير إلى أن هذا النوع من المواقع يحتل نسبة عالمية بين مواقع الشبكة الإلكترونية، وروادها في ازدياد.

ومع صعوبة الجزم بما نشرته إحدى المواقع الإلكترونية وهي تتحدث عن تقارير اجتماعية تشير إلى أنه فيما يمارس الفتيان تصوير علاقاتهم الجنسية بدافع الاحتفاظ بها للذكرى أو تهديد الطرف الآخر بها عند تراجعه، يوثق الكهول وقائعهم الجنسية بدافع الإثارة والإدمان.

إلا أنه في مواقع الفتاوى الشرعية على الشبكة العالمية نفسها نجد عشرات الفتاوى لأزواج في خريف عمرهم يسألون عن جواز مشاهدة أفلام جنسية لإثارة غرائزهم الواهنة(!!) ومعروف شكوى المرأة المصرية إلى الأزهر قبل حين عندما أصر زوجها على مشاركته متعة الفرجة على الأفلام الجنسية تمهيدا لمحاكاتها!

وفي موقع الإسلام اليوم الذي يشرف عليه الداعية السعودي سلمان العودة سأل أحدهم عما إن كان تصويره لممارسته مع زوجه لحياتهما الخاصة أمر مشروع، بهدف إثارة حماسته عند اللزوم!

وحتى تكف التقنية عن طردها غواية الأنثى وتمرد الرجل، تبقى المرأة الضحية إن كانت الجانية أو المجني عليها والهتاف دائماً:

"لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم"